طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
بين الإمكان، الوقوع، الدليل، والحكمة

إبراهيم حسن*

مقدّمة

يلاحظ المتتبّع للكتب التي دارت حول قضيّة المهدوية أنّ الكثير من تلك الكتب - سواءً القديم منها أو الجديد والمعاصر- بحث حول موضوع «**طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف**»، وما ذلك إلا لأهمّية هذا الموضوع في سياق الدفاع عن القضيّة المهدويّة، أو التأمّل في حكمها ودلالاتها.

ومن هذا المنطلق، فقد سعينا لأن نقطف زهراتٍ من رياض علمائنا الأعلام، من تقدّم منهم ومن تأخّر ممّن قد بحث حول هذا الموضوع، لنجمعها في باقةٍ تسرّ الناظرين، بما تجمعه من أدلّة عقليّة ونقليّة، وبما وَفّقت فيه بين المنهج العقلي والمنهج الكلامي وغيرهما، على أن تكون – على اختصارها – كافيةً للإجابة على أسئلة تدور في عقول الكثيرين:

فهل يمكن لإنسانٍ أن يعيش مئات السنين؟ ولو فرضنا إمكان ذلك، ألا يكون مخالفاً للعادة؟ ثمّ ما هو الدليل على طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالخصوص؟ وما الحكمة من هذه الإطالة الخارجة عن المألوف؟

هذه التساؤلات – وغيرها- نحاول الإجابة عليها في هذه المقالة التي قُسّمت إلى أربعة فصول:

أولاً: في إمكان طول العمر

عندما نتحدّث عن إمكان طول عمر الإمام عجل الله فرجه الشريف، فإنّ كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ[1]:

* طالب في الحوزة العلمية - مرحلة السطوح.

١) هذا المقطع مقتبس من: الصدر، السيّد الشهيد محمّد باقر: بحثٌ حول المهدي عجل الله فرجه الشريف، ص:١٥.

١- **الإمكان العملي:** وهو أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي ولك، أو لإنسانٍ آخر فعلاً أن يحقّقه، كالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر.

٢- **الإمكان العلمي:** وهو أن يكون هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحرّكة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصّة، كالصعود إلى كوكب الزهرة مثلاً، فإنّه غير ممكنٍ عملياً في يومنا الحاضر، إلا أنّه ممكنٌ «**علمياً**»، وقد يصبح ممكناً عملياً في المستقبل بعد تذليل الصعوبات.

٣- **الإمكان المنطقي أو الفلسفي:** وهو أن لا يوجد لدى العقل، وفق ما يدركه من قوانين قبليّة - أي سابقةٍ على التجربة - ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته. فانقسام الثلاثة إلى قسمين متساويين دون كسر - مثلاً - ليس له إمكانٌ منطقي، بينما افتراض وصول الإنسان إلى الشمس دون احتراقه له إمكانٌ منطقي ؛ إذ لا تناقض بين وصول أحد إلى الشمس وعدم احتراقه، وإنما هو مخالفٌ للتجربة فحسب، أي أنّه غير ممكنٍ عملياً ولا علمياً وإن كان ممكناً منطقياً.

والآن لنأتِ إلى مسألة امتداد عمر إنسانٍ لآلاف السنين ونرى أي معنى من معاني الإمكان ينطبق عليه:

أما الإمكان المنطقي، فلا شكّ في انطباقه على العمر المديد؛ إذ لا يوجد مانع منطقي أو فلسفي[٢] يمنع من امتداد عمر إنسانٍ لمئات - أو حتى لآلاف - السنين.

وبذلك ننفي استحالة طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؛ إذ لا محال مقابل القدرة الإلهية ﴿**والله على كلّ شيءٍ قدير**﴾[٣]، وهذا ممّا لا شكّ فيه؛ وإنما فصّلنا ذلك لنخرج ما هو غير ممكن التحقّق من باب الضعف في القابل؛ ذلك أنّ «**العمل الذي تتعلّق به القدرة لا بدّ أن يكون ممكن التحقّق، فالشيء المحال في ذاته، أو المستلزم للمحال لا تتعلّق به القدرة**»[٤]، كإدخال الأرض في بيضة مما هو مبيّنٌ في محلّه. وبما أنّ طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - أو أيّ إنسانٍ أو مخلوقٍ آخر - خارج عن المحال المنطقي (ما كان الضعف فيه في القابل)، فإنّ القدرة الإلهية تناله دون إشكالٍ أو ريب.

وأمّا الإمكان العملي، فلا شكّ في عدم انطباقه على العمر المديد؛ لأنّ العلم بوسائله

٢) يُعرف المحال المنطقي أو الفلسفي فيما إذا كانت القضية راجعةً إلى مسألة امتناع اجتماع النقيضين، ومن الواضح أنه لا تناقض في قضية طول عمر الإنسان، ولذلك فهذه القضية توصف بالإمكان المنطقي أو الفلسفي.

٣) البقرة ٢٨٤.

٤) اليزدي، الشيخ محمّد تقي مصباح: دروس في العقيدة الإسلاميّة، ج١، ص٩٧.

وأدواته الحاضرة فعلاً لا يمكنه – حتى اليوم – أن يطيل عمر الإنسان أكثر ممّا هو معتاد.

وأمّا الإمكان العلمي، فهل ثبت بحسب المعطيات العلمية التجريبية أنّ طول عمر إنسانٍ بما هو خارج عن المألوف والمتعارف أمرٌ مستحيلٌ – تجريبياً –؟

في معرض الإجابة على هذا التساؤل لنرَ هذا النصّ الذي نقلته مجلّة المقتطف عن أحد علماء الأحياء:

«لماذا يموت الإنسان؟ ولماذا ترى سنيّه محدودة لا تتجاوز المائة إلا نادراً جداً، وغايتها العادية سبعون أو ثمانون؟ والجواب: أنّ أعضاء جسم الحيوان كثيرة مختلفة، وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً، حتى أنّ حياة بعضها تتوقّف على حياة البعض الآخر، فإذا ضعف بعضها ومات لسببٍ من الأسباب مات بموته سائر الأعضاء، ناهيك عن فتك الأمراض المكروبية المختلفة، وهذا مما يجعل متوسّط العمر أقلّ جداً من السبعين والثمانين، لا سيما وأنّ كثيرين يموتون أطفالاً، وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة أن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلّها، فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانعٌ يمنع استمرار الحياة مئات من السنين كما يحيا بعض أنواع الأشجار، وقلّما ينتظر أن تبلغ العلوم الطبّية والوسائل الصحّية هذه الغاية القصوى، ولكن لا يبعد أن تدانيها فيتضاعف متوسّط العمر أو يزيد ضعفين أو ثلاثة»[٥].

إذاً فالعلوم التجريبية لا تثبت استحالة طول عمر الإنسان، بل تثبت – على العكس– أنّ طول عمر الإنسان أمرٌ ممكن وقابلٌ للتحقّق، غاية ما في الأمر أنّ بعض الصعوبات العملية تعترضه، وقد يصبح ممكناً عملياً في المستقبل بعد تذليل الصعوبات.

وبعد أن تبيّن أن طول عمر الإنسان ممكنٌ منطقياً وعلمياً، **«لا يبقى للاستغراب محتوىً إلا استبعاد أن يسبق المهدي عجل الله فرجه العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظري إلى إمكانٍ عملي في شخصه»**[٦].

وبذلك تظهر العناية الإلهية الخاصّة من خلال إطالة عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه بحسب قواعد علمية معيّنة لم يتوصّل التقدّم العلمي البشري إلى اكتشافه قبل حينه. هذا كلّه إذا ما افترضنا أن مسألة طول عمر الإنسان ممكنةٌ علمياً (فالمسألة ما زالت نظرية علمية، والنتائج الفعلية ما زالت جدّ محدودة). أمّا لو فرضنا أن العلم عدل عن نظريّته الحالية

٥) راجع: الصدر، السيد صدر الدين: المهدي (عج)، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ص ١٤٧.
٦) الصدر، م.س. ص ٩.

– كما هو الحال في الكثير من النظريات العلمية التي تتبدّل مع التقدّم العلمي للبشر – وتوصّل إلى الإقرار باستحالة التوصّل إلى إطالة عمر الإنسان أكثر من المتعارف، « وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانونٌ صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطّها الطويل أن تتغلّب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه»[٧]، فعندها تكون هذه العناية الإلهية كرامة خاصّة بالإمام المهدي عجل الله فرجه، وبمن كُتب لهم طول العمر.

وفي هذا السياق، ننقل نصّاً للشيخ الطوسي ذكره في كتاب «الغيبة»، يشير إلى هذه المسألة:

«فإن كان المخالف لنا في ذلك «أي في مسألة طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه» من يحيل ذلك من المنجّمين وأصحاب الطبائع، فالكلام معهم في أصل هذه المسألة وأن العالم مصنوع وله صانع أجرى العادة بقصر الأعمار وطولها، وأنه قادر على إطالتها وعلى إفنائها، فإذا بُيّن ذلك سهل الكلام... ومتى قالوا: خارج عن عادتنا. قلنا: وما المانع منه؟ فإن قيل: ذلك لا يجوز إلا في زمن الأنبياء. قلنا: نحن ننازع في ذلك وعندنا يجوز خرق العادات على يد الأنبياء والأئمّة والصالحين، وأكثر أصحاب الحديث يجوّزون ذلك، وكثير من المعتزلة والحشوية، وإن سموا ذلك كرامات، كان ذلك خلافاً في عبارة، وقد دلّلنا على جواز ذلك في كتبنا، وبيّنا أنّ المعجز إنّما يدلّ على صدق من يظهر على يده، ثم نعلمه نبياً أو إماماً أو صالحاً لقوله...»[٨].

ثانياً: في وقوع طول العمر

بعد أن ثبت إمكان طول عمر أيّ إنسان (وطول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه بالأولوية)، نبحث في وقوع طول العمر في التاريخ، فهل يذكر لنا التاريخ والأخبار أنّ أحداً من البشر قد طال به العمر لما هو خارجٌ عن المألوف والمتعارف، فامتدّ إلى مئات السنين أو أكثر؟

والجواب هو الإيجاب بالتأكيد، **«فقد مدّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء: عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم، حتى جاز كلّ واحد منهم ألف سنة أو قاربها، كنوح عليه السلام وغيره. وأما من الأعداء المطرودين: فإبليس[٩]، وكذلك الدجّال، ومن غيرهم**

٧) الصدر، م.س.، ص٢٥.

٨) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن: الغيبة، ص ١٢٥ – ١٢٦.

٩) وقد ورد ما يفيد طول عمره بشكلٍ صريح في القرآن الكريم: ﴿**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ (سورة ص: ٧٩– ٨١).

كعاد الأولى، كان فيهم من عمره ما يقارب الألف، وكذلك لقمان صاحب لبد. وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه، فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به؟»[١٠].

والأخبار التي تذكر نماذج المعمّرين عبر التاريخ مستفيضة، حتّى أنّ بعض الكتب صّنّفت لإحصاء هؤلاء المعمّرين[١١]، إلا أنّنا نترك التفاصيل للمطوّلات لنقتصر على بيان حال كلّ من النبي نوح عليه السلام، والنبي عيسى عليه السلام، والخضر عليه السلام.

أمّا النبي نوح عليه السلام، فقد صرّح القرآن الكريم بطول عمره: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾**[١٢]، بل إن كثيراً من الروايات والأخبار تفيد أنّ عمره قد جاوز الألفي سنة، وأنّ الألف سنة إلا خمسين عاماً هي خصوص مدّة لبثه في قومه ودعوته لهم.

وأمّا النبي عيسى عليه السلام، «**فالذي يعطيه ظاهر قوله ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾**[١٣] **أنه حيّ عند الله ولن يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب**»[١٤]. وبذلك يكون المراد من توفّي النبي عيسى عليه السلام في قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾**[١٥] رفعه إليه، وأنّه ما زال حيّاً يُرزق، بل إنّ كثيراً من الروايات يستفاد منها نفس المعنى أيضاً، فضلاً عن الأخبار التي تؤكّد خروجه عليه السلام مع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وهذا يعني أنّ عمر النبي عيسى عليه السلام قد تجاوز الألفي سنة على الأقلّ.

وأمّا الخضر عليه السلام، فقد تظافرت الروايات التي تصرّح بطول عمره، وأنّه ما زال – حتى اليوم – حيّاً يُرزق. منها – على سبيل المثال – ما ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**إن الخضر شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى يُنفخ في الصور**»[١٦].

كما وردت بعض الأحاديث التي تصرّح بأنّ إطالة عمر الخضر عليه السلام إنما كان لأجل أن يُستدلّ به على طول عمر القائم عجل الله فرجه الشريف، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وأما العبد**

١٠) الشافعي، محمّد بن طلحة: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص ٤٨٩.
١١) ومنها كتاب « المعمّرين» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، وهو من أعيان المذاهب الأربعة.
١٢) العنكبوت: ١٤.
١٣) النساء: ١٥٩.
١٤) الطباطبائي، السيّد محمّد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ج ٣ – ص ٢٠٧.
١٥) آل عمران: ٥٥.
١٦) الحر العاملي: محمّد بن الحسن: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٢ – ص ٨٥.

الصالح - أعني الخضر عليه السلام - فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إن الله تبارك وتعالى لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم عليه السلام في أيّام غيبته ما يقدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام، وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجّة»[١٧].

فائدة ذكر المعمّرين

لعلّ أحداً يتساءل عن الفائدة من ذكر المعمّرين، وعن ارتباط ذكرهم بما نبحث فيه من طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، والحقّ أن في ذكر هؤلاء المعمّرين جملةً من الفوائد، منها[١٨]:

أ) أنّ السامع إذا طرق سمعه أنّه قد وقع فيما تقدّم في هذا النوع تعمير جماعة من الآدميّين لا يستعظم تعمير خاتم الوصيّين.

ب) أنّ القائل بهذا المذهب يزداد بصيرةً في دينه، ويقيناً إلى يقينه، بوقوع مثل هذه الأحوال في عدّة أشخاص من الرجال، فيرى أنّ الإمام القائم عجل الله فرجه الشريف أولى بهذا الحال.

ج) أنّ الشاكّ في هذا المذهب يدعوه الاطّلاع على هذه الأخبار إلى البحث في ذلك، وينتفي عنه تهويل هذا الأمر.

ثالثاً: الدليل على طول عمره عجل الله فرجه الشريف

بما تقدّم حتّى الآن يثبت أنّ طول عمر الإنسان أمرٌ ممكنٌ منطقياً وفلسفياً، وهو ممكنٌ عملياً لمن كتب الله له ذلك، إمّا على سبيل مطابقة ذلك لنتائج العلوم التجريبيّة فيما لو ثبت عند العلماء التجريبيين إمكانيّة طول عمر الإنسان لمئات السنين أو أكثر، أو على سبيل الإعجاز والكرامة فيما لو ثبت عند العلماء التجريبيين أنّ طول عمر الإنسان أكثر من المتعارف أمرٌ مستحيل وخارج عن نطاق القدرة البشرية.

١٧) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٥٧.

١٨) راجع: النيلي النجفي، العلامة النسّابة السيّد بهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد: منتخب الأنوار المضيئة، ص١٩٦. (الأصل له، والمنتخب من إصدار مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام، قم، إيران).

وقد تبيّنّا كيف أنّ طول العمر قد تحقّق فعلاً في عددٍ من المعمّرين عبر التاريخ، كنوحٍ وعيسى والخضر عليهم السلام وغيرهم.

لكن ما هو الدليل على طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالخصوص؟ وبعبارة أخرى، فما تقدّم من البحث يردّ على الإشكال المطروح حول إمكان طول عمر الإمام عجل الله فرجه الشريف وينفي استحالته، لكن ما الذي يثبت طول عمره عجل الله فرجه الشريف بالفعل؟

وللإجابة على هذا السؤال نطرح ثلاث مقدّمات:

١) لا تخلو الأرض من حجّة:

ورد في العديد من الروايات أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، نبيٍّ أو وصيٍّ أو إمام، من لدن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً ؛ لئلا يبطل حجج الله وبيناته**»[١٩]. فإن لم يكن القائم لله بالحجّة ظاهراً، فهو مستورٌ أو خائفٌ مغمورٌ – كما في عصرنا –، لكنّه موجودٌ حتماً؛ لأنّ حجج الله وبيّناته لا تبطل أبداً.

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من مات وليس في عنقه بيعة لإمام، أو ليس في عنقه عهد الإمام مات ميتة جاهلية**»[٢٠]. والذي يُستفاد من إطلاق الحديث أنّه لا بدّ لكلّ إنسانٍ من بيعةٍ لإمام، وهذه البيعة للإمام فرع وجود الإمام نفسه كما هو واضح، وهذا يعني وجود الإمام في كلّ عصر. وهذا المعنى مستفادٌ أيضاً من عددٍ من الآيات، منها: ﴿**يوم ندعو كلّ أناسٍ بإمامهم**﴾[٢١] الدالّة بالعموم على وجود إمام في كلّ زمان، ومنها: ﴿**وإن من أمّةٍ إلا خلا فيها نذير**﴾[٢٢].

كما أنّ الإمام لا بدّ أن يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله؛ لما ورد عنه صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[٢٣]. وعدم افتراقهما دليلٌ على بقاء كلٍّ منهما إلى قيام الساعة.

كما أنّ أصل مسألة عدم خلوّ الأرض من الإمام يُستدلّ عليها بحكم العقل، لكنّنا نترك ذلك للمطوّلات من الكتب الكلاميّة والفلسفية ؛ رعايةً لحجم هذه المقالة.

٢) أنّ الحجج (الأئمّة) من بعد الرسول صلى الله عليه وآله اثنا عشر، آخرهم المهدي عجل الله فرجه الشريف:

١٩) المازندراني، مولي محمد صالح: شرح أصول الكافي ،ج ٥ – ص ١٢٥

٢٠) العلامة المجلسي، محمّد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ج ٢٣ – ص ٩٤

٢١) الإسراء: ٧١.

٢٢) فاطر: ٢٤.

٢٣) الحر العاملي: م. س.، ج ٢٧ – ص ٣٤

ولعلّ سائلاً يسأل: نسلّم أن الأرض لا تخلو من حجّة، لكن ما الدليل على أنّ تلك الحجة هي الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي تفترضون طول عمره لمئات السنين؟ ولماذا لا نفترض تعاقب عددٍ من الحجج (من ذوي الأعمار المتعارفة)؟

ونجيب: أنّ ممّا هو ثابت عند كلٍّ من الخاصّة والعامّة أن الأئمّة من بعد الرسول صلى الله عليه وآله اثنا عشر[٢٤]، كما ثبت عند الشيعة الإماميّة أنّ الأئمّة هم علي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام، والتسعة من ذريّة الحسين عليه السلام، وهذا ما صرّح به النبي صلى الله عليه وآله، كما في قوله صلى الله عليه وآله: «**إن الله عز وجل اختار من كلّ شيءٍ شيئاً.... واختار من الناس بني هاشم، واختارني وعليّاً من بني هاشم، واختار مني ومن علي الحسن والحسين، وتكملة اثني عشر إماماً من ولد الحسين تاسعهم باطنهم، وهو ظاهرهم، وهو أفضلهم، وهو قائمهم**»[٢٥].

ومع شهادة الإمام الحادي عشر (الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، فلا بدّ من وجود الإمام الثاني عشر (الإمام المهدي عجل الله فرجه)؛ لأنّ الأرض لا تخلو من حجّة[٢٦] (وبذلك نردّ على من أنكر ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه)، وبما أنّ الإمام عجل الله فرجه هو الإمام الأخير، فلا بدّ من الإقرار بطول عمره عجل الله فرجه، وإلا فإنّ افتراض تعاقب عددٍ من الأئمّة مخالفٌ لنصّ الرسول صلى الله عليه وآله بكون الخلفاء من بعده اثنا عشر.

٣) الكثير من الروايات تشير إلى طول عمر الإمام عجل الله فرجه وطول غيبته:

قد يُكتفى بالمقدّمتين الأولتين لإثبات طول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه، لكنّ هذه المقدّمة تأتي كشاهدٍ ومؤيّدٍ لهما، حيث ورد الكثير من الروايات التي تصرّح بطول عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه، وأنّ غيبته ستطول أيضاً.

منها ما ورد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «**إن ابني هو القائم من بعدي وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد ولا يثبت على القول به إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الايمان وأيّده بروح منه**»[٢٧].

٢٤) يقول السيد الشهيد رحمه الله: «**فالحديث النبوي الشريف عن الأئمّة أو الخلفاء أو الأمراء بعده، وأنّهم اثنا عشر إماماً أو خليفةً أو أميراً، قد أحصى بعض المؤلّفين رواياته فبلغت أكثر من مائتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنّة، بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وأبي داوود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين**». راجع: الصدر، م.س.، ص٤٨.

٢٥) النعماني، محمد بن إبراهيم: كتاب الغيبة، ص ٧٣

٢٦) راجع المقدّمة الأولى.

٢٧) المجلسي، م. س. ج ٥١ – ص ٢٢٤

وكذلك ما ورد عن سعيد بن جبير أنّه قال: «**سمعت سيد العابدين علي بن الحسين**عليه السلام **يقول: في القائم سنّة من نوح وهو طول العمر**»[٢٨].

وهذان نصّان صريحان في كون الإمام المهديعجل الله فرجه من المعمّرين، وهذا مشابه لتعمير النبي نوحعليه السلام الذي سبق وذكرنا أنّ عمره وصل إلى الألفين وخمسمائة عام.

وعن أبي عبد اللّهعليه السلام: «**أما والله ليغيبنّ سبتاً من دهركم، وليخملنّ حتى يقال: مات، هلك، أيّ واد سلك؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين**»[٢٩]. «**والسبت: الدهر**»[٣٠] كما في مجمع البحرين، وهذا إشارةٌ إلى طول غيبة الإمامعجل الله فرجه وبالتالي طول عمره.

وقريبٌ منه ما ورد عن أبي عبد اللّهعليه السلام أيضاً: «**أما إنّه لو قد قام لقال الناس: أنّى يكون هذا وقد بليت عظامه مذ كذا وكذا؟**»[٣١]. وهذا كنايةٌ عن طول عمر الإمامعجل الله فرجه بما يدفع إلى التعجّب الشديد عند الناس من بقائه حيّاً حتى أيامهم.

رابعاً الحكمة من طول العمر

لا شكّ أن لطول عمر الإمام المهديعجل الله فرجه علةً إلهية، وبما أنّنا قاصرون عن إدراك تلك العلّة، فلنحاول أن نتلمّس بعضاً من الحكمة في ذلك، وهي تتجلّى في بعدين: إمّا على مستوى شخص الإمامعجل الله فرجه، وإمّا على مستوى الأمّة ككلّ.

أمّا على مستوى شخص الإمام، فقد يذكر البعض أنّ لطول عمر الإمام المهديعجل الله فرجه تأثيراً على شخص الإمام، من جهة أنّ طول العمر إنّما يساهم في تطوير شخصيته وازدياد خبرته، من خلال ما يكتسبه من تجارب الحياة ومراقبته للتجارب البشرية المختلفة، وبذلك يقبل على مشروعه الإصلاحي للعالم بكل قوّة وكفاءة[٣٢].

لكنّ هذا الكلام مردودٌ على كلّ حال؛ لأنّ الذي آتى النبي يحيىعليه السلام الحكم صبياً، والذي علّم الخضرعليه السلام علماً من لدنه، لهو قادر على أن يعلّم أيّ إنسانٍ ما يحتاجه في مهمّة كهذه ويُكسِبه الخبرة المطلوبة دون الاضطرار لإطالة عمره وتغييبه تلك الفترة الطويلة من الزمن. وإذا كان هذا الأمر ممكن التصوّر في حقّ أي إنسان يختاره الله لذلك، فكيف بالإمام المهديعجل الله فرجه؟ خاصةً وأنّ عقيدتنا بعلم الإمام المعصوم وما يمتلكه من قدرة على

٢٨) م. ن.، ج ٥١ – ص ٢١٧

٢٩) الأصفهاني، ميرزا محمد تقي: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائمعجل الله فرجه.، ج ٢، ص ١٦١

٣٠) الطريحي، الشيخ فخر الدين:مجمع البحرين ج ٢، ص ٣٢٠

٣١) النعماني، م.س. ص ١٥٧

٣٢) راجع: الصدر، م.س.،ص٣٢.

الاطلاع على الغيب يتنافى مع التعليل المذكور.

نعم قد يمكن القول إنّ طول عمر الإمام عجل الله فرجه يظهر أثره على المستوى الشخصي من جهة زيادة الأجر على الصبر، أو رفع الدرجة والمنزلة، لكنّ هذا الكلام بحاجة لمزيدٍ من التحقيق والتأمّل، في غير هذه المقالة التي تراعي الاختصار.

أمّا على مستوى الأمّة ككلّ، فتظهر الحكمة من طول عمر الإمام عجل الله فرجه عندما نلتفت إلى أنّ الأمّة عليها أن تتحمّل مسؤولياتها في التمهيد للظهور، وذلك بتهيئة الأرضيّة المناسبة لقيام القائم عجل الله فرجه، وهذا يعني أن الإمام عجل الله فرجه هو المنتظِر للأمّة حتّى تتهيّأ وتستعدّ، و من أهمّ أسباب استمرار غيبته وطول عمره، أنّ الأمّة لم تبلغ بعد المستوى المطلوب من الجهوزية للنهوض والتغيير، وهذا ما يساهم - بدوره- في تحفيز الأمّة لتقوم بدورها التمهيدي. ومن الواضح أنّ بقاء الإمام حياً في غيبته هو أكثر ما يزيد ذلك «**التحفيز**» قوةً، «**ويعتبر بقاؤه حيّاً عاملاً كبيراً ومؤثّراً في زرع الطمأنينة وشيوع الأمل بين الناس**»[٣٣]، بخلاف ما لو افترض موته أو تعاقب عدّة أئمّة في فترة الغيبة.

خاتمة

يتوقّف البيان ويعجز اللسان، في محضرك يا صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويبقى يسيراً كلُّ ما نكتبه، قليلاً كلُّ ما نقدّمه، لكنّ القلوب حرّى، ملؤها الشوق والحنين، تائقةً تقول: تمرّ الأيّام والسنون، يزداد فيها عمرك يا صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويزداد معه شوقنا للقائك، أمدّ الله عمرك وعجّل فرجك، وأمدّ الله أعمارنا وقرّب لقاءك....

٣٣) اليزدي، الشيخ محمد تقي مصباح: دروس في أصول العقيدة الإسلامية، ج١، ص٣٧٨.